خطبة الجمعة ... بناءً ... ومعنى

زياد زامل أبو مخ

هذه الدراسة تبين أهمية خطبة الجمعة، وقدرتها على تحديد الاتجاهات، وتكوين الآراء، وتعديل السلوك. ولكي تحقق خطبة الجمعة أغراضها لا بد من اختيار خطيب تتوفر فيه الملكة الخطابية، والرصيد الثقافي، والثقة بالنفس، وحسن الخلق، والمظهر اللائق، وغير ذلك من الصفات، ومن ثم الاختيار الصحيح لموضوع الخطبة، وبناء عناصرها، ووضوح الغاية منها، فضلا ما تتحمله كليات الشريعة من مسئولية في إعداد خطباء المساجد إعدادا موفقا، وذلك بوضع خطط دراسية في علم الخطابة، وفنون الإلقاء، بعد اختيار أساتذة لديهم الدراية بقواعد الخطابة، واكتشاف الصفات الخطابية عند الطالب، وإعطائه فرصة التدرب على الخطابة، كما ينبغي أن تحرص هذه الكليات على إجراء دراسات وأبحاث نظرية وميدانية في مجال الخطابة لمعرفة وضع الخطابة والخطباء في المساجد الواقعة في الوسط العربي، وقياس أثر الخطبة على جماهير المسلمين ورقيهم في المجالين المعرفي والسلوكي، وقد شملت الدراسة عشر توصيات خاصة بخطباء المساجد، وعشر توصيات خاصة بالخطبة.

تتبوأ خطبة الجمعة مكانة هامة لما لها من قدرة على الاستمالة والإقناع ، والإسهام في تعريف مبادئ الإسلام وقيمه ، وحقائقه ، وتحديد الاتجاهات ، وتكوين الآراء ، وتعديل السلوك بما يتفق وتعاليم الدين الحنيف ، وشعيرة الجمعة فريضة أمر الله المسلمين بأدائها ، وحذر من تركها ، وطالب بالتهيئة النفسية ، والاستعداد الذهني ، وطهارة القلب والبدن لاستقبال ما يلقيه الخطيب من عِظات وعبر ، ولكي تحقق خطبة الجمعة الفائدة المرجوة لا بد من اختيار خطيب تتوفر فيه الملكة الخطابية ، والرصيد الثقافي ، وحسن الخلق ، والثقة بالنفس ، ورقي العقل ، والمظهر اللائق وغير ذلك من الصفات ، ومن ثم الاختيار الصحيح لموضوع الخطبة ، وبناء عناصرها ، ووضوح الغاية منها عندها ستضطلع بدور هام في توجيه الناس ، والارتقاء بهم في جميع ميادين الحياة ، وتسهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تخالف التعاليم الدينية ، ومواجهة القوى المنحرفة التي تأتي في صورة التسلط ، أو الاستعلاء ، أو التعصب . تعتبر فريضة الجمعة مؤتمرا أسبوعيا يلتقي فيها المسلمون لتوثيق أواصر المودة بينهم ، والتعاون على ما فيه خير البلاد والعباد ، وشحذ الهمم ،

وتقوية العزائم ، وإثارة العاطفة التي تحبب في الخير، وتنفر من الشر ، وتحث على طاعة الله، وابتغاء مرضاته .

وبالفعل قد يطول وقت المستمع ، ويشتد عناؤه ، ويقشعر جلده ، ويضطرب قلبه ، ويتأذى سمعه ، وهو معتقل بين يدي خطيب اعتلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ، ليعود دون أن يغذي هذا الخطيب روحه الظمأى بوقود المعرفة ، أو يترك له صالحا للاستماع ، أو بيانا للحق ، أو إزهاقا للباطل ، فيحمل أثقالا مع أثقالك ، فلا هو قد استعد لذلك ، وإن استعد فليس من وراء استعداده رصيد من الثقافة يغترف منه ، وليس لديه ملاحقة للأحداث الجارية بما يناسبها من علاج على ضوء ثقافة لا تنحصر في الجانب الديني فحسب بل تتعداه إلى ما قدمته الإنسانية من معرفة وتجارب مثمرة ، وتصوير الواقع ونقله بطريقة تستميل السامع استمالة تحمله على الاستجابة لمطلبه ، والانتهاء عما نهى عنه ، بعد أن يكتشف ببصيرته النافذة عيوب الناس وآفاتهم ، فيشرع لسانه في معركة ضاربة يواجه بها العلل الناشبة في جسم الأمة ، فيوقظ الضمير الغافي ، ويشده إلى التنافس على الخير بأسلوب يأسر الأفئدة والألباب ، ويقترن بالصدق والاستقامة ، وصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم حين قال : " إن من البيان لسحرا " رواه مسلم في صحيحه /٢ كتاب الجمعة باب ١٣ ، إن جمال الألفاظ يجب أن يكون مقرونا بصدق الذات ، واستقامة المسلك ، وإلا ستكون كما قال الأديب الفرنسي في كتابه (حديقة ابيقور) إن كل ما لا يستمد قيمته من ذاته ، وإنما يستمد من جدة صياغته ، ومن ذوق فني خاص يموت بسرعة ويندثر . إن مثلها كمثل ما تخرجه محلات الخياطة الكبيرة ، من أثواب فيها الجدة غير أنها تنتهي بانتهاء المواسم . والغريب أن الخطيب يجد ضالته في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ووقائع التاريخ ، والمراجع المتوفرة ، وما تقذفه البيئة من صنوف الانحلال والانحراف .فلماذا لا يحمل الخطيب نفسه على العمل الجاد ، ولا يقّدر جسامة المهمة الملقاة على عاتقه في مجال الهداية والإرشاد ؟ ولو عرف لأعد عدته حيث يراه الناس طبيبا لجراحاتهم متحدثا باسمهم ، وقد ذكر أن وفدا من العلماء زار واحدا من كبار أولي الأمر يشكو إليه فساد الأخلاق ، وانتشار المنكرات فقال

لهم: أنا أعجب من أمركم ، عندكم هذه المنابر التي تستطيعون أن تصلحوا بها كل فاسد، وتقوموا كل معوج ثم تشكون إلي ما تجدون ...، وهي كلمة أجراها الله على لسانه لتقوم بها الحجة علينا مرتين : مرة لأنها كلمة حق لا ينازع في صحتها أحد ، ومرة لأنها موعظة خرجت ممن يتصدون للوعظ . ومما ينفطر له القلب أسى أن الخطيب يمارس وظيفته بروح اليأس من المستقبل ، فيمضي مع الأيام ، أو تمضي به الأيام بلا جديد يقدمه إلى الناس لأنه أساسا غير واثق من نفسه ، وإذاً فكيف يسكب هذه الثقة في قلوب الآخرين ، وكيف له أن يكون ترجمانا لمشاعرهم ، وآمالهم وتطلعاتهم دون أن يحشد لخطبته ملكات نفسه ، ويفضي عليها صبغة الإخلاص والفضيلة . وقد تراه يتجاهل ظروف الناس فللناس حاجات وأعذار فصاحب الحاجة أو العلة يكون مزاجه غير مستعد للتلقي وإذن ليس للخطيب أن يحتجزه بالقوة فالخطيب الذي يمارس خطبته من مواطن العزة بعيدا عن الابتذال والتملق ففعالية خطبته تكون في أرض متهيئة للإنسان بل وطالبه له ثم تكون صورة الخطيب مأنوسة من حيث قدر ظروفهم و لم يورطهم في إحراج هم في غنى عنه : إما أن يتركوا المسجد تحت ضغط ظروف لم يقدرها الخطيب ، وإما أن يتابع على مضض وأحلى الأمرين .. مر ، وأمر منه أن الموعظة لم تبلغ هدفها . وعلى الخطيب أن يتعلم من بعض الأذكياء من قراء كتاب الله تعالى الذين عرفوا طبيعة النفس الإنسانية فلا يعطون المستمعين كل ما يشتهون أو فوق ما يشتهون بيد أنهم ينتهون من القراءة في قمة استمتاع الجمهور بأصواتهم لتظل الصورة مهيبة .... مرغوبة .. تستثير الأشواق الكامنة ! فلا تفرغ المواعظ إفراغا فوق رؤوس يكبلها الحياء فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا . بالإضافة إلى تجاهل الخطيب طبيعة الإنسان التي تمل حتى في طعام يحبه فليكن الرجل طبيبا قبل أن يكون خطيبا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة والملل .

إنني أجد نفسي بعد أن طفح الكيل لدى المصلين وأنا منهم مدفوعا بواجب تقديم توصيات لخطباء المساجد ، أو إلى من شاء أن يتخذ إلى منصب الخطابة سبيلا ، جعلتها عشرين وصية ، عشرة خاصة بالخطيب ، وعشرة أخرى بالخطبة نفسها بعد استعراض

لمشكلة الخطابة وبيان دور كليات الشريعة واصول الدين في إعداد الخطباء . إنني على يقين أن الساحة لا تخلو من الخطباء الجيدين فإن فاتهم التوفيق في شيء فإن النية الخالصة بعون الله تعالى لا تنقصهم ، وهي الحجة المؤكدة للرغبة في الإصلاح ، ليأخذ الخطيب مكانه المرموق ، فيكون قادرا على أن يربي جيل المستمعين على تقوى من الله ورضوان ، وما نحن في موكب هؤلاء إلا على الخير أعوانا ، وفي سير محبة الله إخوانا ، فلست غريبا عنهم ، ولا مبرأ من عيوبهم كواحد قد تولى مهمة الخطابة لسنوات خلت ، ومن أجراك مجرى نفسه ما ظلمك .

مهمة كليات الشريعة في إعداد الخطباء

تقع على عاتق كليات الشريعة مهمة إعداد خطباء المساجد إعدادا موفقا ، وذلك بوضع خطط دراسية في علم الخطابة ، وفنون الإلقاء ، ودراسة العلوم الإسلامية من حفظ صحيح للقرآن الكريم وفهم معانيه ، ولسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة ، والإدراك الواعي لأصول العقيدة والفقه ، ومعرفة التاريخ الإسلامي، والمذاهب المعاصرة ، والنظريات والاتجاهات الفكرية ، وأحوال العالم الإسلامي ومشكلاته ، وقضايا الاقليات ، ومعرفة شيء من الاقتصاد ، والقانون ، والاجتماع ، وعلم النفس ، والمنطق ، ومتابعة أهم الاكتشافات الحديثة في مختلف العلوم والتكنولوجيا كي يتناولها الطالب الخطيب من منظور إسلامي صحيح ، بالإضافة إلى وضع مناهج تطبيقية ، وخطط تدريبية تمكن الطالب الخطيب من ممارسة نشاطه الخطابي على الوجه الأكمل ، فضلا عن اختيار أساتذة يعرفون كل شاردة وواردة في قواعد الخطابة ، ويجعلون للطالب الخطيب فرصة التدرب ، ومعاشرة نماذج من الخطب البليغة التي ينفعل بها ، وتجعله يعيش التجربة لعل هذه الكليات تنجح في تنشئة جيل من الخطباء على مستوى الكفاءة والمسئولية ، وننبه هنا إلى معنى جدير بالتأمل : فقد كان الاستعمار يباشر نفوذه في دائرتين : الأولى : دائرة تعليم النشئ بإبعاده عن لغته وهي سر من أسرار قوته . والثانية : دائرة تأهيل المربي بإفساد ملكة البيان فيه، ومتى فسد الذوق اللغوي لم يكن هناك جامع يجعل من الأمة جسدا واحدا ، والمهم هو فصل الأمة عن مصدر قوتها وهو

القرآن الكريم ، وإذن فحسن إعداد الخطيب البليغ تكسبه معرفة يحج بها المرتابين ، وموعظة تسري في قلوب العالمين ، وتفويت لمكر يباشر سلطانه الآن في مختلف الوسائل والميادين .إن على مدرس الخطابة معرفة خطيب المستقبل وذلك عن طريق:

١) سلامة النطق والجرأة والقدرة على اقتحام المواقف .
٢) أنشطة الطالب المختلفة في مجالات الصحافة والخدمة الاجتماعية وغيرها .
٣) حبه المطالعة وميله إلى معرفة العظماء والأدباء والخطباء .
٤) علاقاته الاجتماعية التي تبين صفاته من عزلة ، أو حب الاختلاط ، ومن ذكاء ، أو غباء ، أو ألفة ، أو نفور .

وبعد معرفة هذه الميول يقوم مدرس الخطابة بالآتي :

١) الكشف عن صفات تعين الطالب الخطيب على ملكة الخطابة ، كسرعة البديهة ، والجرأة ، والحضور الذهني ، وثراء اللغة ، والثقة بالنفس ، وسلامة النطق ، والسيطرة على الموقف .
٢) تهيئة المادة للطلاب ليقرؤوها ويساعدهم على اتباع طرائق في تدوين الملاحظات ، وتصنيف المعلومات التي يحصلون عليها كما أن عليه أن يعلمهم كيفية استعمال الكتب لإخراج المعلومات ، وكيف يمكنهم أن يفرقوا بين المعلومات التي يضمنها الكاتب ، وبين موقف الطالب الخطيب من هذه الآراء مما يساعده على التفكير والاجتهاد ، وقوة الاستدلال .
٣) سماع كثير من أقوال الخطباء ، بالذهاب إلى المساجد والسماع المباشر منهم أو بسماع أشرطة لهم ، ويمكن ترتيب زيارات لهؤلاء في منازلهم والتعرف عليهم فذلك يزيد الثقة بالتعلم وسماع النصائح منهم .
٤) حث الطالب على تحضير موضوعات مختلفة والتمرن عليها في المترل ثم يأتي ليلقيها أمام زملائه .
٥) الكلام في المناسبات الدينية مما يعود الطالب على الإلقاء باللغة الفصحى ومواجهة الآخرين .

وأخيرا على المدرس أن ينظر إلى الخطبة على أنها جهد ومتابعة تحتاج إلى التفكير ، والتحليل ، والنقد وإلا كانت تبريرا ، والتبرير عملية تجميل واهمة للواقع المشوه ، دون قطع أسباب هذا التشوه ، فالخطيب الناجح هو الذي يملك مقومات التحليل ، وأدوات النقد ليعري الواقع ، ويظهر منابع التشوه فيه حتى إذا ما حددها وعددها انبرى لوضع استراتيجية عليا تعيد الرونق، والجمال ، والاتساق لوجه الواقع .

إجراء دراسات وأبحاث في مجال الخطابة

إذا كانت التجارب العلمية قد أسهمت في تقدم البحث العلمي في مختلف المجالات ، واسهمت بفاعلية في تقدم الإنسان ، وإثراء حياته ، وتزويده بمتطلبات العلم الحديث ، والتكنولوجيا المعاصرة ، فإن هذه التجارب إكتنفها العديد في العلوم الإنسانية ، ويرجع ذلك إلى عدم سهولة السيطرة على المتغيرات ، أو التحكم في الظواهر الإجتماعية ، ولذلك فإن التجارب التي أجريت في هذا المجال محدودة ، ونتائجها غير ملموسة ، وعليه وجب على الكليات إجراء أبحاث ودراسات لتحقيق الأهداف الآتية :

أولا : قياس أثر خطبة الجمعة على جماهير المصلين ، ودورها في تشكيل الاتجاهات ، وتكوين الآراء ، وتعديل السلوك .

ثانيا : توظيف خطبة الجمعة في رقي المسلم علما وسلوكا ، واثراء حياته الدينية ، والثقافية والاقتصادية ، الإجتماعية بما يتفق ومنهج الإسلام .

ثالثا : تصحيح المفاهيم الخاطئة حول مختلف القضايا التي تثار حول الإسلام .

رابعا : معالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية

خامسا : التنسيق بين رسالة الخطبة كوسيلة اتصال مع وسائل اتصال أخرى ضمن خطة علمية لتحقيق الأهداف العليا للمسلمين .

خطبة الجمعة عند الباحثين

بعد استعراض كثير من المراجع التي عالجت موضوع الخطبة والخطيب لم أعثر على دراسات علمية تناولت قياس أثر الخطبة على جمهور المصلين ، وقد وجدت أغلبها قد تناولت بأسلوب سردي وإستعراضي قواعد الخطابة واسسها وتاريخها ، ونماذج منها في

مختلف العصور ، وصفات الخطيب ومقوماته ، بإستثناء دراسة قام بها الدكتور محي الدين عبد الحليم في كتابه : "خطبة الجمعة والإتصال بالجماهير " وهي محاولة أولية تحتاج إلى دراسات أخرى تعضدها ، وبخاصة وأن عينة البحث محدودة ، وفي أماكن محدودة وفي ظروف تختلف عن ظروف مساجدنا في الوسط العربي . هذه الدراسة اعتمدت على منهجين : المنهج التجريبي الذي يقوم على جمع المعلومات وتنظيمها بشكل يؤدي إلى إلقاء الضوء على مدى صحة فرض أو مجموعة من الفروض ، ومنهج : المسح الوصفي الذي يستهدف جمع الأوصاف العلمية عن الظواهر الإجتماعية ، ودراسة العلاقات بين هذه الظواهر بقصد استخدام هذه البيانات لتأييد الظروف والممارسات الراهنة ، أو عمل تخطيطات بغية تحسين الظروف والعمليات الإجتماعية لكشف الواقع القائم ، وتحديد كفاءته أو الحكم عليه بمعايير ، أو محكمات يتم اعدادها وإختيارها ، وأخيرا فإن مسؤولية الكليات جسيمة ، ومهمتها عظيمة ، وعليها يتحتم إجراء دراسات نظرية وميدانية لمعرفة وضع الخطابة والخطباء في المساجد الواقعة في الوسط العربي .

وصايا خاصة بالخطيب

الوصية الأولى :- زود نفسك بزاد الثقافة المتجددة لمواكبة الحياة المتغيرة .

لا بد للخطيب أن يجدد نفسه بزاد من الثقافة يواكب بها الحياة المتغيرة ، وإلا سوف يكرر نفسه ، وبالتالي سوف ينصرف الناس عنه ، فواجب الخطيب أن يغترف من مناهل المعرفة ، كي تمده بالحلول النافعة لمشاكل المجتمع ، يتقصى أحوال الناس وواقع النفس ، ويرفد مستمعيه بما اطلع عليه من أمر الدين وتعاليمه ، ويرجحهم بين الحق والباطل . إن الخطيب يحتاج إلى علم ، وفكر ، وثقافة واسعة تمكنه من ملاحقة إيقاع الحياة السريع ، ومعايشة الأحداث التي هي المادة التي يصوغ منها موضوع الخطبة ، وكلما استبحرت ثقافته ، واستفاضت قراءاته غزرت معانيه ، وسمت أفكاره ، وقويت أدلته .

الوصية الثانية : تحدث بلغة فصيحة.

فصاحة اللسان ، تعتبر الأداة لتوجيه الناس ، ومفتاح لميولهم ، ورغباتهم ، وتطلعاتهم وهي من ألزم صفات الخطيب وأشدها أثرا ، وفصاحة اللسان تحتاج إلى مران ، ولسلطان الكلمة وسحرها على القلوب والعقول كانت معجزة القرآن الكريم ، وكان الاعجاز البياني سلاحه ثم كانت آياته تفتح مغاليق القلوب بالكلمة والموعظة الحسنة والحجة المقنعة مصداقا لقوله تعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " سورة : النحل آية : ١٢٤ . وفصاحة اللسان تتطلب أن تخرج الكلمة من مخارجها الصحيحة ، وأن تكون لذيذة السمع، وتعطي في المعنى المراد رفعة إذا أراد المدح أو خسة إذا أراد الذم ، وإلا احتبست المعاني ، وعجز عن بيان المراد . وليست الفصاحة أو البلاغة هي الإغراب في اللفظ والعمق في المعنى فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى ، والبليغ ما بلغ المراد ومن ذلك اشتقا .

الوصية الثالثة : اجهر بصوتك.

ما يزيد الخطابة حسنا وجلالا جهارة الصوت فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم " رواه مسلم في صحيحه / ٢ في كتاب الجمعة باب ١٣ . وليس معنى ذلك أن يكون الصوت بلا ضوابط كأن يجعل صوته مناسبا للمكان الذي يخطب فيه والجمهور الذي يسمع له فلا ينخفض حتى يصير همسا أو يعلو حتى يكون صياحا يصك الآذان ، وكذلك يختلف الصوت عند بداية الخطبة ووسطها فيبدأ الخطبة بصوت منخفض ثم يعلو شيئا فشيئا ثم يتفاعل الصوت مع المعاني حتى لا يكون على وتيرة واحدة .

الوصية الرابعة :- حصِّن نفسك من الأخطاء اللغوية والنحوية.

إنه وإن كانت الثقافة الدينية لازمة للخطيب لزوم المقاصد والغايات ، فإن المعرفة اللغوية والنحوية لازمة لزوم الوسائل والأدوات ، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى ، وتشوه المراد، يمجها الطبع ، وينفر منها السمع ، فانظر إلى الخطيب الذي خرج عن المعنى إلى ما يناقض الشرع حين قال : إن حواء خلقت أولا وإن آدم خلق منها ، وأن المرأة هي أصل البشرية ذلك لفهمه الآية من سورة النساء الآية : ١" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها " سورة : النساء آية : ١ . ففهم منها أن كلمة (زوجها) تعني الرجل دون أن يعلم أن المرأة في اللغة تسمى زوجا ، ولهذا قال تعالى في قصة آدم " اسكن أنت وزوجك الجنة " سورة : البقرة آية : ٣٥ وحين تسأل الخطيب لم تكثر من الأخطاء اللغوية والنحوية فإنه يقول لك : العبرة بالأفعال لا بالأقوال ، إن هذا الجواب لا يعفي الخطيب من مسئوليته ولن يحتفظ بشخصية خطابية قوية مؤثرة في أذهان المستمعين إلا بالتمكن من اللغة ، وإلا خسر مكانته .

الوصية الخامسة : - ثق بنفسك وقوة شخصيتك.

على الخطيب أن يقف أمام مستمعيه غير مضطرب ، مطمئن النفس لأنه بذلك يضفي على مستمعيه الثقة ، نرى ذلك في موقف لأبي بكر رضي الله عنه حين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فكشف عن وجهه وقبله ورثاه ثم خرج إلى الناس وهم في شدة غمراتهم وعظمة حزنهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ثم قرأ قول الله تعالى " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " سورة : آل عمران آية : ١٤٤ فتجد في خطبته الثبات وسرعة البديهة وقوة الشخصية التي ساقت الجماهير الى حيث الخير والرشاد ، وقد علمنا القرآن الكريم كيف يزرع الثقة في نفوس المسلمين " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين إن يمسكم قرح فقد مس

القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين " سورة : آل عمران آية : ١٣٩ . فالثقة بالنفس قوة مؤثرة تحرك ما حولها دون تبعية ذليلة ، وتجعله على الحق المبين بالشموخ في وجه الباطل ، وبقدرة ذهنية ونفسية عالية . إن حرص الخطيب على هداية المستمعين يظهر في شعوره وإثارة الحماسة في قلوبهم باستخدام العبارات التي تلهب المشاعر ، وتوقظ الحمية والهمة أما الألفاظ الميتة فلا تزيد المستمع إلا خمولا وملالا . ترى القرآن يحدثنا عن زرع الثقة في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :" فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " سورة : الكهف آية :٦ . وقوله : " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى " سورة : طه الآيات : ١-٢ . كما نرى التودد والحرص في كلام ابراهيم عليه السلام مع أبيه يدعوه إلى عبادة الله تعالى " واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا ، لقد قال لأبيه :" يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا " سورة :مريم آية : ٤٠-٤٥ .

الوصية السادسة : - لا تكن خطيب ورقة طيلة وقت خطبتك .

يمضي خطيب الورقة بالمستمع على نبرة واحدة ، وهو مشغول بالنظر إلى ما كتبه خشية الزلل ، فهيئته جامدة لا تتحرك ، وعينه لا تلتقي بالمستمع ، فلا رابطة بينهما جامعة مما يفرض على المستمع النوم أحيانا فيكون في واد ، والخطيب يصرخ في واد ، وينفخ في رماد ، وأين هذا من خطيب مطبوع يعرض الفكرة ارتجالا كما أحس بها بأسلوبه هو وبصوته الذي يدور بين العلو والإنخفاض ، والليونة والخشونة ، ويده تتحرك في إطار من الوقار ، وعينه التي تطل منها التجربة ينقلها بكل ما فيها من انفعالات .

الوصية السابعة :- التزم بما تقول ، وكن قدوة حسنة .

إن المستمع ناقد بصير ، والخطيب لن يعطي قلبه وعقله وروحه للمستمع إلا إذا كان قدوة حسنة ، فكم من خطيب خاض في الحديث عن رذيلة النفاق وهو غارق فيها ، وإذا امتنع عن الحديث عن هذه الرذيلة فإن للمتعاملين بالنفاق معه نعمة على هذا الخطيب تجزى ، والوفاء يحتم السكوت عنها . إن الخطيب يحتاج إلى صفات حميدة تعطيه ثقة المستمعين وإطمئنانهم ، وحبهم له ، وإقتناعهم به فإذا دعا إلى أمر ، وحاله يناقض مقاله ضعف تأثيره ، وقل صدقه ، وثقة الناس به قال تعالى : " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " البقرة ٤٤ وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " الصف ٢-٣ وقال تعالى إخبارا عن شعيب : " وما اريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " هود ٨٨ ، فإذا كان الخطيب سيء السمعة فإنه مهما اتسع علمه ، وحسن بيانه فلن ينجح في التأثير في قلوب مستمعيه ، والسيطرة على مشاعرهم بل ان هؤلاء خطرهم عظيم لأنهم يشوهون بواقع سلوكهم المنحرف صورة الإسلام النقية ، وينعطف واقعهم على ضعاف القلوب بالنفرة من الدين لنفرتهم .

الوصية الثامنة :- كن على أحسن هيئة ، ثم أحسن الإلقاء .

إن هيئة الخطيب ضرورة لتمكين المعاني في قلوب المستمعين ، كالملامح ، والإشارة ، واللباس ،والنظافة ، وحركة العين ، ففي العيون مثلا تقرأ الرجاء والسرور واليأس والحزن والسخرية والغضب ، فإغماض العين دليل القلق ، وإدارتها يمنة ويسرة تعبير عن الإشمئزاز وارتفاعها إلى السماء يكون عند الدعاء وتثبيتها في مكانها يكون وقت الشدة ، كما وأن الوجه بملامحه يوحي إليك بمعاني الألم والقوة والصحة والمرض والشباب والهرم ، وهكذا فإن هيئة الخطيب تبعث في النفس الراحة والألفة ولها تاثير في انتباه المستمع واحترامه ، ومن حسن الهيئة حسن الهندام ، والنظافة ، فلا يلبس الخطيب ملابس المراهقين ، أو الملابس فاقعة اللون التي لا تدل على الوقار قال تعالى : " يا بني آدم خذوا زينتكم

عند كل مسجد " النحل : ٨. وعلى الخطيب أن تكون إشارته منسجمة مع المعنى المراد لإن الإشارة تساعد على إيضاح المعنى ، وإشاعة الحيوية ، وتحقيق الهدف ، وإلا كان كمن يكثر من الإشارة في الظلمة ثم يتعجب كيف لا يراه الناس ، ثم أن روعة الإلقاء نعمة تجسد الأفكار ، وتبرز المعنى لتأخذ وضعها المستقر في الوجدان، في الوقت الذي يضيع الإلقاء الرديء المتسرع فرصة التجاوب والانتفاع.

الوصية التاسعة :- تجمل بالأبيات الشعرية ذات المضمون الجاد .

إذا كان بعض الشعراء يستغلون ما للشعر من رنين وجذب في التمكين من الرذيلة ، ولهم جمهور مفتون بهم ، فلماذا لا يقوم الخطيب باستغلال جمال الشعر وصولا إلى قلوب الشباب الجانح إلى الجمال ، وإلا بحثوا عن الجمال في الملاهي فرارا من الجمود الذي لا يساير طبعه، ولا يغذي روحه، فيكون كالطائر الذكي على حد تعبير الشاعر إقبال، يقترب من الشبكة... يقرضها في حكمة ثم يلتقط الحب ويطير قبل أن يمسك بها الصياد. نعم قبل أن يستأثر بالشباب الفن الهابط ويحتويه .

الوصية العاشرة :-لتكن علاقتك مع الناس علاقه اخوية .

كي يكون الخطيب قريبا الى عقول الناس وأفهامهم لا بد أن تكون علاقته مع غيره قائمه على الحب والتعاون على البر والتقوى ، ويتعامل معهم بقوة الأحاسيس والعواطف ، ومخاطبة عقولهم بالإقناع والمنطق ،فضلا عن أن العلاقة الوجدانية الاخوية تزود الخطيب بمعرفة عادات الناس وأحوالهم وأفكارهم ، وأحاسيسهم مما يعطيه رؤية متجددة تعينه على التأثير والإقناع ومن مظاهر المشاركة الأخوية السعي إلى قضاء حاجات الناس ، ومواساتهم وعيادة مرضاهم ، والعفو عن زلاتهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وعدم افشاء سرهم .

وصايا خاصة بالخطبة

الوصية الأولى : اعد الخطبة إعدادا تستوفي معها العناصر المطلوبة

للخطبة عناصر لا تتم إلا بها ، ولا تأخذ سبيلها إلى عقول الناس وقلوبهم إلا بالوفاء بحقها وهي :

أ) مقدمة تمهد الموضوع فتهيء الأذهان لاستقباله .

ب) موضوع مناسب .

ج) خاتمه تكون : إما تلخيصا لما سبق عرضه أو نتيجة له .

د) أن يتم ذلك كله بأسلوب قوي يخاطب العاطفة ، ولا يركز على البرهان العقلي إلا قليلا .

الوصية الثانية : اختر موضوعا مستمدا من واقع الحياة

إن الخطيب الموفق هو ذلك الذي يقع منه الإختيار على موضوع مناسب يشد الإنتباه فيكون على :

أ. مستوى أفهام المستمعين .

ب. أن لا يكون مما يجري فيه الإختلاف .

ت. أن يكون حيويا متصلا بحياة الناس الدينية والدنيوية .

لقد نزل القرآن الكريم منجما يتجاوب مع الأحداث ، ويعالج العلل التي تنتشر بين الناس، فواجب الخطيب أن يختار زادا يناسب المجتمع الذي عرفه وصولا به إلى ما يرجو من شفاء بقطع دابر الإنحراف ، ولا يكون ذلك إلا بمخاطبته بأمور تعنيه، وتشغل باله، وترتبط بواقعه، وما ظنك بخطيب أعد خطبة في حقوق الجار ، ثم يفاجئ أهل المدينة بموت فلان ، ويفزع الناس حزنا عليه ولكن الخطيب يصر على الخطبة المعدة ، والنتيجة انه في واد ، وجمهوره في واد بعد ان قطع بالجمود كل الصلات . ثم انه من الضروري أن يكون الخطيب على دراية بمستوى السامعين ، وإلا كما قال الشيخ محمد الغزالي يشبه أن يكون تيارا قويا سلط على مصباح ضعيف ... فاحترق المصباح ، ولأن لكل واد طاقة ، فإذا أمدته بما فوق طاقته كان فيضانا ، وتخريبا ، وتدميرا واتلافا . ثم ان على الخطيب معرفة

شيء من علم النفس ، فالخطيب الذي لا يعرف غرائز النفس ، ورغباتها ، وإتجاهاتها لا ينجح في امتلاك زمامها ، ولا تجدي الخطب الرنانة فتيلا إذا ظل باطن الإنسان منطقة مجهولة ، وأصحاب المذاهب الهدامة يقيمون نشاطهم على هذه القاعدة ، فطبيعة النفس كما صورها القرآن الكريم في قوله تعالى : " وكان الإنسان أكثر شيء جدلا " سورة : الكهف ، آية :٥٤ ، وفي قوله : " فإذا هو خصيم مبين " سورة : النحل ، آية : ٤ ، وقوله : " إن الإنسان خلق هلوعا " سورة : المعارج ، آية : ١٩ وقوله : " وأحضرت الأنفس الشح " سورة : النساء ، آية : ١٢٨ ، وقوله : " كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة " سورة : الإنسان ،آية : ٢٤، والوقوف على أسرار هذه الطبيعة بكل غرائزها وتطلعاتها عامل حاسم في الوصول بالإنسان إلى ما يريد له من خير ، إنه جدل ، بل الجدل جزء من فطرته ، ثم انه متسرع متقلب ، عجول يميل إلى النفع العاجل . ومن الضروري أيضا معرفة الخطيب بعلم الإجتماع ، ففي دوامة الصراع بين الحق والباطل تبدو الحاجة ماسة إلى تأمل واع من قبل الخطيب لظواهر المجتمع حوله من حيث نشوئها، وتطورها وأسبابها ، والذي اعان ابو بكر رضي الله عنه على استتباب الأمن معرفته بانساب العرب ، وأحوال القبائل وبطونها ، وتاريخ كل قبيلة وسابق أيامها ،وأخلاقها ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر ، لقد أصبحت بعض الموضوعات المسيطرة على خطب الجمعة هي أمور ثانوية بالنسبة لواقعنا وحياتنا بينما المشاكل الحقيقية قصية عن هذه الموضوعات مما يخلق هوة وفراغا بين الخطيب وبين المتلقي وما أن يخرج المستمع من المسجد إلى معترك الحياة حتى يصطدم بعالم آخر وحياة أخرى وكأن لا علاقة للإسلام بها. وإذا أراد الخطيب أن يكون على مستوى الواقع فلا بد له من أن يحدد موقف الشريعة من القضايا الراهنة كقضايا التنمية والنهضة ومقاومة التبعية وقضايا التعليم والمؤسسات التعليمية ، ومستقبل الثقافة والمثقفين وتحديات الحداثة ، وتنظيم الأسرة ، وعمل المرأة ، والبنوك ، وتربية الأولاد وغيرها من القضايا والتحديات .إن الخطيب اليوم للأسف لا يستنطق هموم الناس ولا ينطلق منها ، وإنما ينطلق من همه وحاجاته ليجعلها هما عاما وحاجات عامة . وكم تعجب حين يطرح خطيب تحدث صبيحة يوم " عاصفة

الصحراء" عن "فوائد الشجرة في الإسلام "، وأتبع هذه الخطبة في الأسبوع الذي تلاه بخطبة "عن تربية القطط في الإسلام" في حين أن القطط العربية وحكوماتها صامته لا تبدي حراكا كما أورد ذلك الدكتور محمد عكام في كتابه " فكر ومنبر " ص ٣٧ .

الوصية الثالثة : مقدمة الخطبة

من أوصاف الخطابة ان تفتتح الخطبة بالتحميد والتمجيد ، وتوشح بالقرآن والأحاديث النبوية ، وسائر الأمثال ، ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها : البتراء ، وكل خطبة لا توشح بالقرآن والأمثال : الشوهاء .

فبعد تحديد الموضوع تأتي أهمية المقدمة والتي من مهمتها :

أ- تنبيه الغافل ليفتح بصره وبصيرته على ما سوف يطرح من قضايا .

ب- ترغيب المستمع ، وتشويقه لمتابعة الحديث .

ج- إعداد الذهن للاقتناع والإذعان .

ولكن كيف تؤدي المقدمة وظيفتها :

أ- بالتركيز فالمقدمة الطويلة تشتت الذهن ، ولا تضمن للمستمع المتابعة .

ب- ان تكون باسلوب يستوقف المستمع من شدة الشوق الى استماعها كأن تكون قصة موجزة ، أو تساؤلا ، أو بيتا من الشعر ، أو قسما ، أو تحذيرا ، إلى غير ذلك مما يهز النفس لتمضي مع الخطيب إلى نهاية المطاف ، ولا بد في المقدمة من صلة تربطها بموضوع الحديث ضمانا لتسلسل الأفكار وأيقاظ الانتباه .

الوصية الرابعة : حدد الغاية من الخطبة التي اخترت موضوعها

إنك قد تسمع إلى خطبة في موضوع الحسد ، فيكون عرض الخطيب على نحو فيه المعلومات وافرة ، والنذير المذموم يدق أدمغة المستمعين تهويلا لأمر الحسد ، فالحديث عن الحسد بلا تحديد أو تقييد يوقع المستمع في حرج لا سيما وانه يركز على تحاسد الأقارب الذين هم برأيه كالعقارب ، والمسألة في حاجة إلى عرض جديد يجلي الحقيقة ، ولا يضع الناس في قفص الاتهام ، ويعطي الدكتور محمود عمارة في كتابه " الخطابة في موكب الدعوة " ص ١٦١ ، مثالا على عرض القضية هكذا :

أ- مائدة الكون حافلة بالنعم ... وميسرة لكل الناس .
ب- قد ينال غيرك حظا أوفر من حظك .
ج- ولكن عليك أن تسأل نفسك كيف وصل إلى ما لم تصل إليه ؟ وهل منعك أحد أن تكون مثله ؟ هل منعك هو بالذات ؟ وإذا لم يكن قد منعك فلماذا تحسده ؟
د- إن الاشتغال بكراهية المحسود فضلا عن أثره في ارهاق قلبك ، وتحطيم أعصابك يضيع عليك فرصة العمل ، لتمضي من ورائه إلى مثل ما وصل إليه أو تزيد ، وواجبك أن ترصد وقتك المضيع في دوامة الحقد لتنفقه في عمل نافع
ه- إن الإسلام يرحب بالتنافس الشريف بين الأفراد ، ومن ثم الحسد بمعنى الغبطة بمعنى أن تكون مثل الغير مسموح لك ، فكن منافسا شريفا بدلا أن تعلنها حربا تعرقل بها طموح غيرك ، ولا تقدم أنت البديل .
و- ثم لماذا لا تنظر إلى نفسك نظرة أعمق ؟ ربما كانت النعمة المحسودة لا تساوي نعمة لديك ... أنستك الغفلة الإحساس بها : عينك الباصرة .... ساعدك القوي ، زوجتك الحانية ، أولادك الطيبون ... عملك الميسر ...
ز- أما تحاسد الأقارب فليس هناك قريب أولى باللوم من قريب فقد تكون انت بتصرفك تجاهه قد دفعته إلى أن يحسدك ، وقد يكون الحسد مفاعلة من الجانبين من أجل ذلك فاللوم يقبل القسمة على اثنين ، وبالتالي فلتكن الخطبة فرصة يصلح فيها كل إنسان قلبه ... لنمضي معا على طريق الأخوة دون أن يشعل الخطيب في القلوب نار الإنتقام من القريب الذي تظنه يحسدك .

الوصية الخامسة : تفصيل العام

قد يتحدث الخطيب عن العبادات ، ويأمرك بها وهذا لا يكفي ، فالذين يستمعون إليه على ثقة بأنهم على قمة العبادة ، فالعبادة في تقديرهم : صلاة وصيام وزكاة وحج ، ومن ثم فهم يستمعون إليك كأنك تخاطب ناس غيرهم ، فالخطيب مطالب بأن ينتقل من العبادة كأمر عام إلى تفصيل أدق ، كأن يبين لهم المفهوم الحقيقي للعبادة ، وأثرها على سلوكهم وتصرفاتهم ليعودوا بإحساس يقلقهم ، ويدفعهم إلى مزيد من العمل .

وفي مثال آخر ترى الخطيب يشن هجوما عنيفا على الظلم والظالمين ، وفي نفس الوقت يلقي في روع المستمع صورة الظالم المتسلط .. الآكل أموال الناس بالباطل ، المستبيح أعراضهم . والأمر إذن في حاجة إلى تفصيل يتحرر به المراد : فقبل أن يسمع الناس الهجوم على الظلم في حاجة إلى تربية تفتح أنظارهم حتى لا يضلوا السبيل ، فليوقظ الخطيب أولا في كيانهم الضمير الغافي ، ليعين المرشد على بلوغ أمله حتى يكسب المناعة ضد المعصية لتتحول فيه إلى عقيدة تحمله على فعل الخير فحفظ معاني الإسلام فقط دون أن تمس هذه المعاني القلب لا يفيد في إصلاح المسلم وتقويم اعوجاجه ، فحفظ مناهج الرياضة في تقوية الجسد دون أن يطبقها لا يكتسب صحة وقوة . إن حشو الذهن بالمعلومات لا ينشئ الخلق الأصيل ، كما أن تشديد النكير في غير مناسبة ربما صدم بعض الكيانات الهشة التي تحاول الدخول في ساحة الرضوان ، وقد تذهلها النذر ، ويربكها المصير المظلم فترجع إلى حيث كانت ، وواجب الخطيب أن يأخذ بيدها فالذي أصيب بالظلم فهو بحاجة إلى مناقشة هادئة من فوق المنبر بدلا من أن يصب الخطيب جام غضبه على أم رأسه ، وهو بذلك يساعده من حيث لا يدري ليزداد ظلما مع ظلمه .

الوصية السادسة : لا تكن الخطبة بالقصيرة المخلة ، ولا الطويلة المملة .

يجب أن لا يستعمل الخطيب الإيجاز في موضع الإطالة ، فيقصر عن بلوغ المراد ، وأن لا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة ، بل يكون الخطيب عارفا بمواقع القول ، وأوقاته ، واحتمال المخاطبين له . قيل إن ابن السماك خطب يوما وجاريته له تسمع خطبته فلما دخل إليها قال كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لو لا أنك تكثر ترداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد مله من فهمه (عمارة ، ص ١٧٥). لقد قيل أن " البلاغة الإيجاز " فما أسهل أن ترسل قلمك على سجيته ليخط عشرات الصفحات ، ومن الصعوبة أن تركز ذلك كله في كلمات معدودات ذلك بأن التركيز فن من فنون القول لا يقدر عليه إلا الخواص فقد كتب الشيخ محمد عبده إلى صديق يقول : إليك خطابي مطولا

فليس عندي وقت للإيجاز !! لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة في اختصار الخطبة تعجيلا للفائدة المتوخاة ، بلغة سهلة يفهمها السامع ، ولا تضيع بين الغرابة والتعقيد ومن خطبته قوله صلى الله عليه وسلم :" ألا أخبركم بأحبكم إلي ، وأقربكم مني مجالسة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون " رواه الطبراني في الصغير والأوسط في كتاب الترغيب والترهيب ج ٢ باب الترغيب في الخلق الحسن وفضله ٣٣. فجوامع الكلم ، عبارات موجزة حكيمة تتضمن كل عبارة فيها معاني كثيرة مع الوفاء بالمعنى الذي تضمنته . إن الاسترسال والإطالة في الخطبة حيث لا داعي له ازدراء بعقول السامعين ، وسرقة لطاقتهم وأوقاتهم ، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة ، واقصروا الخطبة) رواه مسلم ج١ في كتاب الجمعة باب ١٣ . وإذا كان ولا بد من طول فليكن من حظ الصلاة لا الخطبة كما يقرر الحديث ذلك لأن الخطبة تمهيد يعد الذهن والقلب معا للمثول المستغرق بين يدي الله تعالى بالصلاة التي هي حضور بين يدي الله تعالى ، وصقل للروح وترقيق المشاعر بهذه المناجاة الحية التي لا تتم بمجرد الكلام المسترسل الطويل المكرر وهنا تأتي أهمية إتقان أحكام التلاوة والتجويد للإمام ، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها حتى تكون لقراءته الأثر الكبير في لحظات تقف فيها النفس واجفة أمام ربها الذي يقبل التوبة عن عباده . إن ما يفرض على الخطيب إيجاز خطبته هو أن المصلين قد تركوا أعمالهم فقد تراودهم أحلام الكسب ثم أنهم يستمرون جلوسا فيهم الضعيف والمريض وذو الحاجة وحتى الأصحاء والقادرون من هم فوق الحاجة ، قد أصابهم الملل والسأم وقد يكون من واجب الخطيب رعاية الأحوال الجوية فإن شدة الحر وشدة البرد أيضا عوائق ترهق الذهن إلى حد يفقد القدرة على التركيز والاستيعاب .

الوصية السابعة : رَصِّع خطبتك بآيات من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والأحكام الفقهية .

لا قيمة لخطبة ما لم ترصع بآيات من القرآن الكريم تمد السامع بالطاقة المحركة ، وتقدم إليه المعنى في جو يحمله على الإذعان ، فضلا عما تورثه الخطبة من البهاء والوقار ، فواجب الخطباء المثول بين يدي الآيات لتفهم معانيها ، ومعرفة أسباب نزولها ، ويحسن تلاوتها وتجويدها ، ويستحسن أن لا يقتصر الخطيب على تفسير واحد فكل تفسير فيه فتح في الفتوحات الإلهية التي يعطيها إليه صاحب النظر المخلص في كتابه فهناك تفاسير تميل إلى تفسير ألقرآن بالقرآن وأخرى بالمأثور أو الرأي . ومن التفاسير القديمة التي ينتفع بها الخطيب ، تفسير ابن كثير ،والطبري ،والقرطبي ومن التفاسير الحديثة تفسير الظلال لسيد قطب والتفسير الحديث لدروزه ، والتفسير الواضح لمحمود حجازي ، وتفسير القاسمي ، وتفسير ابن باديس ، ثم التأمل في واقع الحياة ، وأنهم لواجدون في كتاب الله تعالى زادهم لنفع الناس وهدايتهم . وكذلك يجد الخطيب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والعملية نماذج رائعة استوعبت شؤون الحياة ، فالسيرة النبوية ينبوع الخلق ومنهل مكارم الأخلاق وهي أساليب تربية ، وخطة لخلق الكفاءات ، وتنشئة الرجال وهناك كتب مختصرة ومفيدة مثل رياض الصالحين للنووي ، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، ونيل الأوطار للشوكاني ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام من ادلة الاحكام – لمحمد بن اسماعيل الكحلاني . بالإضافة إلى شرح صحيح مسلم والبخاري . أما كتب السيرة النبوية فهي كثيرة وعلى الخطيب دراستها والتركيز على ما ورد فيها من قيم ومثل، والخطط التي اتبعها الرسول في تبليغ الدعوة على اختلاف مشارب الناس وأفهامهم وعاداتهم وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل الإسلام واقعا ملموسا لا شعارات وقد دونت السيرة النبوية في كتب هامة منها :

١) البداية والنهاية لابن كثير
٢) سيرة ابن هشام
٣) السيرة الحلبية
٤) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي
٥) نور اليقين للخضري
٦) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم

وعلى الخطيب الحذر من الأحاديث الموضوعة وتجنب الأحاديث التي لا تعيشها عقول الناس أو ليس لها صلة بواقعهم ومقتضى حالهم . وعلى الخطيب أن يتصل بالعلوم الفقهية بأدلتها من كتب الفقهاء حتى يستطيع رد الشبهات ، ودحض الإفتراءات . والكتب في هذا المجال كثيرة مثل : المحلى لابن حزم ، والمغنى لابن قدامه ، والأم للشافعي ، وفقه السنة للشيخ سيد سابق وغيرها.

الوصية الثامنة : اعتمد سرد القصص

النصيحة المقدمة للخطيب هو أن يبدأ تجربته بقصة معززة بآية أو حديث ، أو موقف تاريخي . صحيح أن الإطلاع الواسع هو الذي يمد الخطيب بسيل من المعلومات يسعفه بالقول السهل الميسر أما في البداية فالقصة أنسب له وللمستمع ، ذلك لأن عناصرها وأشخاصها واضحة في ذهنه ومادتها يصعب نسيانها ، والمستمع يتابع خلال حديثه أشخاص القصة كأنه يراهم ، فيلاحقهم بخياله فيتحرك وجدانه ، وتستيقظ فيه غريزة حب الاستطلاع فيفتح له سمعه وقلبه ، وحتى إذا لم يحسن العرض فإن ما قدمه من جوانب القصة شافع له ، وسيكون في المستقبل أقدر على صناعة الكلام . إن في القصة أسماء والأسماء لرجال أو لأطفال أو نساء ولكل واحد من هؤلاء دور ، فعلى سبيل المثال ما ورد في قصة أنس : فعن أنس قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن صبيان فسلم علينا وأرسلني في حاجة ، وجلس في الطريق ينتظرني حتى رجعت إليه قال : فأبطأت على أم سليم قالت : ما حبسك قلت : بعثني النبي في حاجه قالت : ما هي : قلت : إنها سر فقالت فاحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . " الخطابة في موكب الدعوة " للدكتور محمود عمارة صفحة ١٦٨ . وللخطيب أن يصوغ هذه القصة على أوفى أسلوب فله أن يسأل ما دلالة تسليم الكبير على الصغير ؟ ولماذا أنس بالذات يرسله في حاجته ؟ لقد جلس صلى الله عليه وسلم في الطريق ينتظره . فهل هناك من بأس في ذلك ؟ ولماذا تناقشه أمه الحساب على تأخيره ؟ ألا يدل ذلك على أن للبيت نظاما ينبغي أن يحترم ؟ وما دلالة الموقف العظيم لأنس رضي الله عنه حين رفض أن يبوح بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يكون أشد كتمانا به عن رفاقه بينما لا يزال صبيا غض

العود؟ وأين نحن من أنس اليوم رجال يبوحون بأسرار أمتهم وأوطانهم ؟ ما الذي صنع هذا الجيل ! إنه الإسلام فاتبعوه . وهذه التساؤلات داخلة في إمكان كل خطيب راغبا في التزود لرحلته وهو مثال يدعو الخطيب إلى وقفات مماثلة أمام تراثنا الذي لا يعطيه كنوزه حتى يعطيه عقله وذاكرته وكل منافذ معرفته .

الوصية التاسعة : لا تجعل من الخطبة درسا تلقيه

بعض الخطب تتحول إلى درس للفقه وبيان للأحكام . هل البسملة جزء من فاتحة الكتاب ... أم لا ؟ هل فاتحة الكتاب مكية أم مدنية ؟ وليس هذا غرض الخطباء ، بل دعوة الناس إلى ما في السورة من أخلاق ينبغي الإتصاف بها ، وإثارة الوجدان ليعشقها ، والخطبة بهذا المعنى تحتاج إلى خطبة ، ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير ، وهي محتاجة إلى ما تنهض لطلب الآخرة ، وإذا كان هذا شأن الفقهاء استنباط الأحكام فجدير بالخطباء ألا يدخلوا في أحوال غيرهم ، وأن يخاطبوا القلوب بما يوقظ فيها أثمن ما تملكه من مشاعر ، إلا إذا احتاج إلى طرح حلول لقضايا فقهية لها صلة بواقع الناس .

الوصية العاشرة : تجنب المسائل الخلافية في الخطبة

يجب على الخطيب تجنب الخلافات الفقهية ، والتعصبات المذهبية ، وأن يبني أحكامه على أساس متين من القرآن والسنة ، فالقضية الخلافية حين تعرض من فوق المنبر فإن المعارضين من المستمعين لن يسلموا زمامهم للخطيب انتصارا لرأيهم ، لا سيما وظروف الخطبة لا تسمح بالحوار والأخذ والرد لأن ذلك خارج عن طبيعتها .

على ضوء هذه الدراسة نظم الشاعر عبد الرحمن كبها (أبو صدام) قصيدة بعنوان:

صفات الخطيب والخطبة

صِفَاتٌ لِلْخَطِيبِ بَلَغْنَ عَشْراً   جَذَبْنَ مَسَامِعَ الْجُمْهُورِ قَهْراْ
وَعَشْرٌ فِي الْخِطَابَةِ لا تَدَعْها   وَلَوْ عَذَلَتْكَ فِيها الناسُ طُــرا
تَثَقَّفْ فَالْثَقَافَــةُ خَيْــرُ زَادٍ   وَجَدِّد مَا أقَمْتَ عَلَــيهِ دَهْرا
وَلاَ تَتْرُكْ فَصيحَ القَــوْلِ فِيها   فَمَا غَيْرُ الفَصِيحِ لنا اُســتَقَرَاْ

وَإِنْ خَاطَبْتَ فاسْمعْهُمْ جميعا — وَلاَ تبــْدُو كَمَنْ يَصْطَادُ سِراْ

وَلاَ تَلْحَنْ وَلاَ تَعْثــرْ بِنحــْوٍ — فَجــَرٌ عِنْدَ نَصْبٍ جَــرَّ وَقْراْ

وَثــِقْ بالْنَفْسِ إنَّ الخَوفَ داءٌ — وَإِن تَضْعُفْ فَمَا بَلَّغْتَ أَمــْرا

وَأَرْسِلْ ناظــرِيكَ ولا تُحاكي — منَ الأصــْنامِ ياغــوثاً ونسراْ

وَحَاذِر أنْ يجيءَ القَولُ حُلْوا — ويأتِي الفعْلُ بَعْدَ الْقــَوْلِ مُرًاَ

تَجَمَّلْ بالثيابِ وَكُنْ بَشُوْشا — وأوْدِعْ في نُفُوسِ القَوْمِ بِشْراْ

وَضَمِّنْ مَا تَقــُولُ بُيُوتَ شِعْرٍ — فَإِنَّ الشعْرَ فِي الأسْماعِ أجْرَىَ

وأَحْسِنْ مَا اسْتَطَعْتَ بلا رِياءٍ — فإِنَّ لِصادقٍ فِي النــَّاسِ ذِكْراْ

نَصَحْتُكَ يا خَطيبُ وإنْ نُصْحي — لنَفْسي يا خَطيبُ اليَوْمَ أَحْرَىَ

وأمَّا الخُطْبَةُ العُصْمــَاءُ عندي — فَفيها قــَدْ عَدَدْتُ اليومَ عَشْراْ

فَأَوَّلُها نَفــَرْتُ منَ ارْتــجالٍ — وَحَشــْوٍ لا يُراعَى فيه قــَدْراْ

تَحَدَّثْ عن أمــُورٍ نحن فيها — "فَلاَ لاَقــَى الهِزَبْرُ أخاهُ بشراً"

وَحَمِّدْ عنــدَ بدءِ ألقَوْلِ فيها — وَوَشِحْهــا بــآي فَاضَ عِطْراْ

وَحَدِّدْ مَا تَقــُولُ بلا حَيــاءٍ — وَلاَ تَخْــرُجْ عَنَ المَوْضوعِ شِبْرا

وَفَصــِّلْ دُونَ إسْهابٍ مُمــِلٍّ — وإلاّ صــَارَتِ الْعَصْــماءُ بَتــراْ

فَلاَ قِصــَرٌ مُخــِلٌ بالمــعَاني — ولا طُــولٌ يجــرُ الذيلَ جــَرّا

وَدَعِّمْها بآي الذِّكــْرِ حِينًــا — تَنَلْ مِــنْ خالقِ الأكْوان أجــْرا

وإنْ خَذَلَتْكَ أحْكــامٌ وَفِقــْهٌ — فَعُدْ وأُتْــلُ لِذي القرْنَيْنِ ذِكــْرا

وَحَاذِرْ سَرْدَها كالدَرْسِ يُلقى — على الطــلابِ تَحفيزاً وَجَبــْرا

وَلاَ تُقْحِمْ خلافــاً مَذْهَبِيًّــا — فإنَّ الْخُلْــفَ زادَ الفهَمَ عُســْرا

المصادر والمراجع

١- المهدلي ، محمد عقيل ، **الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية** ، القاهرة :دار الحديث ، ط "١" ١٩٩٨م.

٢- الواعي ،توفيق ، **الخطابة وإعداد الخطيب** ، مصر – المنصورة : دار اليقين للنشر والتوزيع ، ط " ٢" ، ١٩٩٦م.

٣- مكتبي ، نذير محمد ، **خصائص الخطبة والخطيب** ، بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ط " ٢" ، ١٩٩٨م .

٤- محمد ، علي رفاعي ، **وحي النهضة الوطنية في الخطب المنبرية** ، القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط "٢" ، ١٩٦٤ م .

٥- محفوظ ، علي ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب** ، القاهرة : دار الإعتصام ، ١٩٨٤ م .

٦- محفوظ ، علي ، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة** ، بيروت: دار المعرفة، د . ت.

٧- كشك ، عبد الحميد ، **حتى تكون خطيبا** ،القاهرة : دار البشير ، ١٩٩١ م.

٨- عمارة ، محمود محمد ، **الخطابة في موكب الدعوة** ، بيروت : دار الخير ، ط" ١" ١٩٩٣م

٩- عكام ، محمود ، **فكر ومنبر** ، ج " ١" ، حلب : فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، ط " ٢ " ، ١٩٩٧ م .

١٠- عبيدات ، محمود سالم ، **اساليب في الوعظ والإرشاد** ، عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٩٩٠ م .

١١- ابن العطار ، علاء الدين ، **كتاب ادب الخطيب** ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٦ م.

١٢- عبد الحليم ، محي الدين ،**خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير** ،القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠م.

١٣- عبيد ، منصور الرفاعي ، **المنبر وأثره في اتجاهات الرأي العام** ، بيروت : دار الجيل ، ط "١" ، ١٩٩٣م.

١٤- شلبي ، عبد الجليل ، **الخطابة وإعداد الخطيب** ، القاهرة : مؤسسة الخليج العربي ، ط " ٥ " ، ١٩٩م.

١٥- درويش ، محمد طاهر ، **الخطابة في صدر الإسلام** ، جزءان ، القاهرة : دار المعارف العربية ، ط "٢" ، ١٩٦٨م.

١٦- فاروق ، سعد ، **فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي** ، بيروت : الشركة العالمية للكتاب ، ط"١" ، ١٩٨٧م .

١٧- ابو زهرة ، محمد، **الخطابة اصولها تاريخها في زهر عصورها عند العرب** ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ط "٢" ، ١٩٨٠م .

١٨- حسن ، محمد عبد الغني ، **الخطب والمواعظ** ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٨م.

١٩- الحديدي ، عبد اللطيف محمد السيد ، **فن الخطابة في المنظور النقدي "النظرية والتطبيق "** ، المنصورة : دار المعرفة للطباعة والتجليد ، ط"١" ، ١٩٩٦م.

٢٠- حسين ، منصور سعيد ، **القيم الخلقية في الخطابة العربية** ، بنغازي : منشور .

תקציר

מאמר זה עומד על חשיבותה של דרשת יום הששי מבחינות רבות: קביעת כיוונים, גיבוש דעות ושינוי עמדות והתנהגות. לשם הגשמת יעדים אלו, מן ההכרח שיהיו לדרשן תכונות אופי מיוחדות כגון: כשרון, השכלה ובטחון עצמי.
הדרשן חייב להיות נאה בהופעתו ובעל מידות טובות, זאת ועוד בנוגע לדרשה עצמה: קפדנות בבחירת הנושא, מבנה הטקסט ובהירות המטרה.
מן ההכרח שמכללות השריעה יפעלו להכשרת הדרשנים באמצעות תכניות לימודים ברטוריקה ואומנות הפנייה אל הציבור. יש לאפשר התנסות מעשית, ועידוד מחקרים אמפיריים על המצב הנוכחי בדרשות יום ששי במסגדים במגזר הערבי, בכדי ללמוד על השפעתן והסקת המסקנות המתחייבות מכך.